خديجة بنت عبد الحي

الأعمال الكاملة

الجزء الأول

خديجة بنت عبد الحي

أغاني الخلود

منشورات خديجة بنت عبد الحي

اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين
الرئيس
د. محمد أحظانا

سدنة الحرف
رئيس مجلس الإدارة
د. عبد الله السيد

©
جميع حقوق الطبع محفوظة
ISBN : 978-2-37711-058-2

الأرجوحة

وأبيت أسقي النخلة الفيحاء يكبر ظلها في داخلي
وتضيع صورتها من الأفق المكفن في الغيوم
أبحرت أشرعتي حباب الرمل في الريح السموم
نبض تواتر من غرام تمزقي
إعصار أمسي في تهدج لجة
بلج الأصيل
يخبو صداه على مشارف زورقي
عينان تستبقان
في الأفق الغريق
ثقبان يحترقان في العدم الجريح
والصقر يلهث حائما
في ضفة الأفق الغريق
بين النخيل وبين أكومة الرماد
يتثاءب الإعصار من حين لحين
خلف الستار
تتبادل الأدوار
فرق الرعيل السابقين

يتسابقون في دهليز أقبية الظلام

شيخ الغجر

يعشو إلى فلم الطلاسم يستعيد

رقصات فتيان الهنود

لعجائز يزحفن في سفح السنين

يندبن أيام امرئ القيس الكبير

يسملن أحداق الزمن

في غرفة الأصباغ والعطر الهجين

عصب من الغلمان

جمعوا الأواقي من سويعات الوصال

ورووا أحاديث السمر

من ضفة المتوسط اليسرى لأطفال الجنوب

عصب الرعيل

قطعوا الشريط ودشنوا وطن النجوم

أيام كنا غارقين إلى التخوم

ركبوا طيور الشوق

تخفق في الفضاء إلى الجزر

وتنفسوا الصعداء في عبق الزهر

جمعوا من الورق الثمين صحائفا

منضودة

صدمت سهام المرجفين

رزم من الورق الثمين

تهدي لرب المسبحة

يكفي لتطهير الجناب

تكفي النحوس العاويات

بل قد تقودك في صفوف المتقين إلى الجنان

رزم من الورق الثمين

تجنى من أشجار الجزر

ومن الأزقة من صناديق البلد

تمتد جسرا للصعود إلى الأبد.

الإبحار

تدليت من مرفأ الذكريات
على زورق الحلم الأهوج
أغني وأمخر لج العباب
على صهوات الغرام الجموح
بزرقة بحر العبور
***

أهيم فيختزن البحر من وجعي
براميل نفط الجزيرة في وطني
يحيك الحباب غرامي قطائف زرقى
تعربد فيها الزوارق حول السفن
***

رحلت أناجي خيوط الضياء
تحدر من وجنة الشمس
فتنهل من جهة الشرق نورا بهيجا
يزمجر في قمم الحندس العربي
***

سأمضي مع السندباد
عسى الفجر يزرع أرجوحتي بالورود
فأترع كأس الوليد حليبا وأهديه قطعة سكر

وأعواد حلوى
إلى شاطئ الفجر في المرفأ الآخر
***

سأرحل في الفجر خلف الصدى
صدى صيحة الفارس المنتظر
أيا بخت نصر من أي أفق طلعت
أيا صارخا من فجاج الغد الأبلج
***

سنابل كالفجر ترقص في حفل يوم الخروج
وسرب الحمائم تحت جناح الغراب الوبيل
يصارع موج البحار إلى ضفة الشاطئ الساهر
***

سهرت أناجي عيون الصبايا
ووهج الحصى
على الدرب في رحلة السندباد
لعل الفوارس تمضي إلى ساحة المعركة
***

لينفك طوق اللظى عن جباه النخيل تعانق أعراف خيل الفتوح
على المرفأ الساهر
فينهمر الفجر صوب البطاح.

على متن سفينة ابن خلدون 1990

على باب الكهف

ثوى في غيوم الملل
يراقب برج العروج
إلى حيث ذاب الأمل
وغنى العناكب فوق السطوح
فيا نوم أسدل ستارا على يقظتي
ووعيي كي أستريح
ففي النوم سحر عجيب
أغني له وإليه أنيب
***

فبالأمس زارت جحافل زرق العيون
من الغرب تمتص ماء الغصون
تناول سما بطعم الرحيق
وحلوى بطعم الحريق
فأغلقت كهفي علي ولذت بنوم عميق
***

أطلت الهجود
بليل الكهوف
أناجي الضريح وأدعو المطر
وأحرس سجادتي رغم كل الظروف

***

أخيرا!!

حكت لي الهداهد عما وراء البحار

تتالت علي السنون العجاف

وأسراب زرق العيون

وقصف الرعود وعصف الرياح

فحطمت جدران كهفي المريح

***

دروب طوال مصابيحها حارقة

فأين السبيل!

عقارب حولي تدور

وترنو إلي كبار الصقور

على ضفة الشفق الحائر

فأين الطريق؟

***

عراجين نخل أبي ذاوية

تحاصرها الرمل في ساحة الكهف

فتحنو على واحة الذكريات

وسجادة الأم ضاعت

فأين تكون؟

***

سأحمل صحني

إلى ناقة الشاطئ
وأعبر عرض المحيط
وأسرح نحو الخليج
وظلي إلى الشرق يمتد مثل الشراع
لطفل بكى فوق أرض القطاع
***

هو السين صارعته عند بدء الطريق
فألقيته في مكان سحيق
قلعت وألقيت أسنانه الراسيات
ودست الجوازم والناصبات

ولكنني ضعت بين الدروب
وبين الطلول وقاع السراب
فيا زورقي أين منك الشراع
شراع يهز القلاع
ويبني القلاع.
1988

ليس عشقا

نسمة الفجر تنامت تحت أقدام النخيل
رتلت ريح الصبا
في عبق اللحن الجميل
آية الخلد بأسماع الصقور الغاضبين
ورواها العض للعرجون في وادي الحجارة
***

ليس عشقا للربى والأهل ما عاد خسارة
كلما قام صبي ثائر
يطلب ثأره
يزرع الأرواح في هام الحجارة
أشعل القوم السجارة
ثم قالوا عنه مجنون صغير
يا خسارة
***

كلما قام كمي يشعل المصباح
صرخ الأقوام: مجنون يريد الانتحار
يتحدى أمر عفريت الحضارة
فإذا اشتدالوطيس
نكصوا واختبؤوا في السفح يرجون انتصاره
أو ما كانت "شطارة"!؟

مرفأ الصمت

زقزقت من خلف شباكي عصافير الأصيل
كعزيف الجن في الليل الطويل
وأنا أرسم في كف السحاب
طائرا أخضر خفاق الجناح
يعزف اللحن الجميل
ويعري الأفق من كل الستائر
أمتطيه
نحو معراجي البعيد
***

أفقي يمتد ما بين الضفاف الطارقية
وعيون الصخر من صحرا سبأ
وجعي جدول دمع نائم في رحم الصخر مسجى
في رداء من لعاب العنكبوت
قابع تحت نخيل مهمل بالعدوة القصوى من الوادي الحزين
كضريح من قبور الغابرين
***

طارت الخيمة خلف الزوبعة
نضب الينبوع من عين السحاب

وبقينا ننزح البئر الضنينة
تترامى تحت أقدام الحصى
قطرات من عيون الضارعين
حمما نامت بشطآن الضريح
مرقصا للجن في ليل الشتاء
***

يذبل الزهر وتمتص اللحون
ومضات النور من هاتيك العيون
ينفث الرمل دخانا
ثائرا فوق القمم
وأرى النخلة غضبى
أنشبت في الأفق الرحب الأظافر
***

وعلى الناقة (ديلول) مع الجن يغني
وسط الجوقة يرمي
للأكف الضارعة
قطع اللحن الجميل
يتغنى بالعيون النجل والصحراء والإبل وأيام العرب
.. وأبي يعرف نجدا وتهامة
والخيول البيض تطوي الآل في كل الوهاد
***

انتشينا ومددنا الكف زدنا

آه ما أحلى النغم!

آه ما أحلى حكايات الزمان الغابر!

وسألناه لماذا هجر الغيث الديار

وأتانا مرة يحمل فأسا وعصابات تنادي بالثبور

كخفافيش الظلام

***

دار (ديلول) بطرف في الأفق

وأجاب السائلين:

إن أفقي مسحته يد جني هجين

أنهلت منه الأصابع

طلع الجن علينا من رماد الأضرحة

وأتانا بالهدايا والورود

ومن الجن عصابات كريمة

تطعم المسكين في الأرض الضريرة

***

قطع الناس الصلاة

بل رموا أدعية السقيا بعيدا

ركضوا خلف كبير الجن رب التاج والذيل الطويل

ملك الحارة رب الصولجان

وسألت الرمل عن أطلال قومي

قال: أيضا سافرت

وسألت الهدهد الراحل عني

فر مني هدهدي إذ قال إني لم أعد أ سطيع ذبحه

***

جئت بالألحان والنأي العتيق، فوق أطباقي الجميلة

قال قومي

قد عرفنا كل أنواع اللحون

وشربناها إلى حد الثمالة

وسقيناها بنينا

لم لا ينبت هذا اللحن زرعا؟

لم لا ينزل غير اللحن في بهو الضريح؟

***

هبط الطائر من كف السحاب

معلنا لي أن إكسير الجروح

في يد الجني مبتور الذنب

ودعاني للنزول

بين أكوام الرماد

نزل الطائر بي في ساحة الجن سبية

ودعاني سيدي للمائدة

سيدي يخبرني أن سوف يعطي

الأمر للغيث بأن ينزل في أرضي البعيدة

سوف يعطي الأمر للتفاح أن ينبت في صحراء قومي

عند ما أعمل في القصر وصيفة

***

وأنا ما زلت أتلو سورة الجن
وأحكي البسملة
وأردد
سرق الجني إكسيري
فهل يسرق مني البسملة
وأنا واقفة في مرفأ الصمت أمام الغسق الخارج من كم الأصيل.

1992

الحرف الجريح

أأنشد الشعر والحرف الجريح خبـا

في ترعة من جليد الصمت منتحبـا

ما باله مبحرا في فلك أخيلتـــــــي

يمتص من وجعي ما ظل محتجبـــــا

يدق باب القوافي هل سيمهلنـــــي

حتى أرتب أشيائي واحتجبـــــــا

وأسكت الكلمة الغرقى بحنجرتـــي

هواتف تخنق الإلهام إن سكبـــــــا

من أين أسكب في كأس الرضيـع إذا

يبكي حليبا وهل يعطي البكا نخبـا؟

من أين أستل للطفل الرغيـــف إذا

يأوي أصيلا يناجي الحظ مكتئبـــا؟

أم كيف أنسج من فيض الحنان كسى

تقي الوليد سياط البرد إن غضبـــــا؟

تحدرت دمعات البؤس من حـــــدق

غرقى بليل هموم مضرم لهبـــــــــــا

داري همومك بالصبر الجميل أمـــــا

علمت أن على أنشودتي رقبـــــــا؟

علمي

أخضر معشوشب ليس يضـــام

ذهبي النـــجم نفاذ السهـــــام

وهلال النصر قوس وحســـــام

يتلالا طاردا جـــنح الظـــلام

علم رفرف مخضل الجبيـــــــن

من شذى أعراف خيل الفاتحــين

عانق النصر عناق الخـالديـــــن

واستقل الدرب مـاض لا يليـــن

علمي بورك رفرافـــا عنـــــــاه

ردد الكل على الـدرب صـــداه

ساهرا للفخر حـام لحـمـــــــاه

عندليب اليمن عنى في فضـــاه

يا شراع العز في بحر النـضـــــال

مستطاب الخفق خلاب الجمـــال

وضع النجمة في كف الهـــــــلال

تعبر الأفق لشـــطآن الكمـــــال

علمي يا غرسة الـــعز التليـــــد

منبع الإلهام والفـجر الجديـــــد

دمت رقرافا على جسر الصعـــود

يفتديك الشعب يا رمز الوجـــــود

ربي أدعوك [1]

رب أدعوك أن تخفف ما بـــــي

يا رفيقا بالكائنات الضعيفـــــه

وتنير الطريق نحو شفائـــــــــي

يا إلهي إني توجست خيفـــــــه

(1) هذان البيتان كتبتهما عند عودتنا من المغرب.

يا نسيما [1]

يا نسيمـــا أراه يخطـــــر غبـــا

أي ريح أتت بـــه حـين هبـــا

يقشعر الجسم المعــنى إذا مـــا

لامسته ويصبح الشوق صبـــا

أم رياح الزنجي عادت من ارضي

وبوجـــه أحبـــه قبـــل حبـــا

(1) هذه الأبيات جاءت بها من رحلتها الأخيرة للجزائر.

إن قلبي من برق أهلي وأرضـــي

وكتـــابي أراه يقــطـــــر حبـــا

لم يطاوع قلبي جنـــاني لمـــا بـــي

من هموم تعصب القلب عصبـــا

نفحة الإلهام

اسكب الصمت معينا يولـــــد

أو نشيـــدا لحنــه لا ينـفـــــد

نفحة الإلهام فاحـــت فرمـــت

في فؤادي غلـــة لا تخـمـــــد

يا رفيقـــي لا تؤاخـذنـــي إذا

كنت ممـــن للأمـــاني يخلـــد

عبق الذكرى تنــامى حلمـــا

كـلــما مــات أراه يــولــد

نشر الجرح شراعـا في دمـــي

يتلاقى الأمــس فـيه والغـــد

فعشقت البحر والصحــرا إذا

يتغــنى في فضـــاها الهدهــد

وصدى ديلول يحــدو نوقــه

لعيون الصـــخر إذ تستـــورد

وعتاق النخـــل تحمي أفقــي

مرقـــبات في فضاها ترصـد

وخـــيام خفقـــت أطنـابهـــا

يتجلى في فضـــاها السـؤدد

ورأيت البدر قــرصا نابضــا

يضرم الحب وقلبي الموقـــد

وعيـون نـــام في شـطآنهـــا

ألق الفــجر وغــنى الفرقـــد

أنبتت شطآنها عشــب المنــى

مرتعا في كــل فصــل ينشـــد

هذه الشــطآن لا حــد لهـــا

ملتـقى الآمــال إذ تتـــحـــد

شاطئ البحر

شاطئ البحر حصـــاه لؤلـــؤ

وضفـاف البحـــر رمل مزبـــد

أفــق الصحــراء مـــا أروعـــه!

هـذه الآمـــاد لا تستنـــفـــد

أنا بلقيس على عرشـــي هنـــا

كل ما حولي دمى لي تسجـــد

هـذه الآفـاق تحـكي قصـتـي

غضـة والبـدر فيهـا يشهـد

يالهـا أنـشـودة خـالـدة!

إنما الإنسـان فيهـا المنشـد

فرحة اللقاء

داعبتْ فرحةُ اللقاءِ جنَانـــي

وانبرى سحرها يُناغي بيانـــي

بشَّ في وجهنا الزمان فكانـت

فرحة العمر وانبلاج الأمانـــي

دغدغ الحب فوق أوتار قلبـــي

ساريا في دمي كهمس الأغانـــي

كل حرف أحسه في انجـــذاب

لأخيـــه بالـــود يـــلتحفـــان

كلمات الترحيب تركض سكرى

مثلجات الصدور تحنـــــو دوان

مرحباً مرحباً، وأهلاً وسهـــــلاً

أخـــواتي علـــى ربى موريتـــان

قد شربنا المدام من سكرة الأفـ

ـراح وأنهــلّ شعرنــا كالمثانــي

نتعاطى في شرفة اليــمّ كأســا

قدُسيــا مشعشــعاً بــالحنــان

وتغــني بلابــل البحــر لحنــا

رددتــه جــدران غُرِّ المبانــي

بوركت نجعة التوحد هـــذي

بلسما للجروح مما أعـانـــي

نجعة في قـلاع عقبـة مـــرت

حلما أخضرا لبضـــع ثـــوان

نخلـة ههنـا أنـا أخواتـــي

كبريائي تأبى قيـود الهـــوان

تركتني أمـــي هنـــاك لأرعـــى

عهدها في الربى وأحميا لمغانـــي

نغم الشعر

سكرت بأنغام تهاطل كالبرد تنقي

قلوب السامعين مـــن الكمـــد

سحائب من فيض الشعور مربـــة

ووحي من الإلهام ينهـــل مطـــرد

أيا عندليب الشعر في حال سكره

أعد نغم الشعر الجميل أعـد أعـــد

وعلل بأنغام القصيـد قريحـــــتي

لأمضي أغني للخلود مدى الأبد

صوت بابلي

ليس في الفن مثل ترجيع صـوت

بابلـي لكوكب الشرق عـــذب

إن تغني بثـورة الشـــك أبكـــي

وبأطلالهـــا تعلـــــق قلبـــــي

ولقلـــبي تعلـــــق وهـيـــــام

بهيـــــام تشـــــدو تعلــق قلبـي

نغمـــات سحريـــــة ولحـــــون

ومعـــــان منحتهـا كـل حبـــي

زغردة

نضبت عيون الشعــر والأنـــواء

ما عــاد يجـدي خلفهـا الإسـراء

خــرسـاء إني لا أكـاد أبيــن يــا

قومي فشعري صرخة هــو جــاء

سكب الأصيل دموعه في خاطـري

فعـــلمــت أنــي غـــرة بلهـــاء

وطـردت من ذهني ظلال قصائـد

ألهـو بهـــا إن عزني استشفـــاء

كـــانـــون ينبـــوع القـوافي عادني

بـــقصيدة نغـــماتهـا خـضـــراء

فيها صدي الآمال يرسم في الفضا

أقـــواس نـصـــر نـورهـــا لألاء

فـــوقفت إجـلالا لأسمع صيحـة

من فيضها تعـشوشب الصحـــراء

تـــروى وتحيـــي كبريـــاء نخيـلنـا

تتعـانـــق الأغصـــان والأصـــداء

كـانـــون فرقـــان وفـجـر طالـع

ومـشاتـــل زرعـــت بهـــا العليـاء

دارت يداه بمقـــــود متمنـــع

للدهــر فانبجست له الأضـواء

كانـــون إنـــي لا أزال رهـينـة

في البحـر تحميـني السمـــا والماء

وتحيـط بي أم البـوارج حولهـــا

أسـراب طـير الشؤم والعنقـــاء

لا زاد لي إلا حطـــام شهامـــــة

بحقيبـــتي وصـحيفـــة غـــرثـاء

دوت بأذني صـــــرخة مضـــرية

ينهـــل مـــن أرجـائها الإيحـــــاء

حـتمـــــا أزغرد للحسين وصنوه

بـــــقصائـــدي لـــو أنهـــا بحاء

لم أمتـدح قـوما ولا قايضتهــم

بمشاعري فقــصيدتي عصــماء

لكـن طالع سعد أمــة يعـرب

في الأفـق ترنــو نحوه الجـوزاء

والفيصل الشهـم المجاهد مفـرد

في خنـدق طافت بـه الأرزاء

يا ســادتي غـــرماؤكم شــفعــاؤكم

يا ســـــادتي هل ينجــلي الإغمـــاء

تشكو الكنوز من الطوى إذ أفرغت

في سلـــة تــأوي لهـــا العجمـــاء

ومـــآذني ومنـــابـــري تهتـــز من

سخــط وتشكو القبــة الخضـــراء

تدعو الحسين لكل جرح نازف

وعلى الحسين لمثلها أعباء

شهداؤنا في العامرية إخوة

ضمتهم في صدرها الزوراء

إني أشيعهم وأدعو مثلما

قد شيعت أبناءها الخنساء

وقوافـل الشهــدا على آثارهم

والنصــر آت نـــوره وضـــاء

سكرة الشعر

سكرة الشعر تـناجي أغنيـاتي

سكبت في كأسـها عطر الحـياة

برعمـــت نـبض القوافي نغمـا

يافــعا مـثـل أهـازيـج الرعــاة

كلما جمجمت أنـغـــامي دعا

منهل الإلـهام سرب الكلمات

أعـين تنــمو عـــلى شطــآنها

أحرف الشعر كغر السنـبلات

لم لا أرعـــى زهــور ا أينـــعت

لم لا أنثر هـــــذي الثـــــمرات

ربما عزت عن أن تـشـــدو بهـا

حنجرات كرخـيص الأغنـيات

بيد أن الزهـــر قـــد يذبـــل إن

ظل فـــي الظل أسير الظـلمات

إن في الشـــعر ارتـــواء دائـــــما

من رحيق الخلد عذب النفحات

غـير أني قـــد ألاقـــي شططـــــا

إن كتبت الشعر من بعض الرواة

قـال لي شـيـخ، وفـي نبرتـه

بعـض عـتـب وبـقايا من أنـاة

كـبر الشعـر عـن أن تـكتبـه

مـرأة ما الشـعر إلا لـلكماة

قلـت إن الشعر يدعوني على

طـبق الإبـداع أن آتـي فـآتي

-قـال – والإشـفـــاق في لهجتـه

أو لسـت امـرأة كـالأخـــريـات؟

إن كتبت الشعـــر قلنا: مـــا لهـا

تكتب الشعر؟ أجنـت؟ من لهاتي!

حسبـــك "التـبراع" نغـما خافتـــا

في سويعـات الهنـا سـهل القنـاة!

وإذا رمـــت فصـيحـا ينـــبغـــي

أن تـنـاجي ربـنتا بـالـدعـــوات

كـــل شـعـر غيـر هـذا بـاطـــل

وحـــرام لـيس يـــرضى يا فـتـــاتي

قلـت: تدعوني إلى خنـق الـرؤى

أي شرع ذاك يـا قاضي القضاة؟

إن وأد الـشـــعر في مهــد الرؤى

سيــدي– أعظم من وأد البنات –

قال: ما في دوحـة الشعــر الــتي

سمقت أغـــصانها غــصـن يــواتي

قلت: شعري غير ما تــرمي لـــه

دوحــة مبحــرة دومـــا بــذاتي

أو ليـــس الشعر شـــيئا آخـرا

غير هجو ومـديـح للصـــلات

وهيـام بـأنـــاس ظـــــعنـوا

وبكـاء في رحـــاب العرصـات

أو مـا مـــزق عنـــــه حـلـــة

مزقتها عجـلات الســـنوات

وانبرى في صحـــوة مـحمومــة

طاويا كل جســور الـــترهـــات

قال: غير الشعر مـا جـاؤوا بــه

قلت: لاعتب إذا، بعـد الغــداة

شكرا !

شكـرت أخي المحبوب بلسم كربتي

شكـرت أشقــائي وأبـنـــاء إخـوتي

وصحبي وعوادي شكرت حضورهم

ومـــن ساعدوني من جميـع أحبـــتي

ومن بسطـــوا أيديهـــم نحو ربهـــم

يريدون أن أشفـى وأغـدو بصحـــة

فمن عطفهم أرخوا عــلي ستائــرا

سأذكرها مهمــا تراخـــت منيــتي

وما كنت أحـجوني سأحتاج عطفهم

ولكنها الأدواء تكشــف قصـــتي

2002

عارضة الأوراق

أهكذا للمـرة الـعاشـــرة

تعود من تطـوافها خاسـرة

ألقت ملفا ذابـــلا مهمـلا

وأتبعتـــه نظـــــرة فـاتـــرة

وأرسلت من صـــدره زفـرة

متى أرى بعـد الـــعنا ظافرة

آه لتطـوافي بـــــلا طـائــل

خلف وعود في الفضا طائـرة

آه من الأبــواب إذ أوصدت

تطرقــها أنــاملــي الخائـــرة

قالت لقد أمســيت سيزيفية

لا أنثني عن رحلـتي القـاصـرة

وفحصت كراسة الذاكرة

ما ذا عساها ههنا ساطره

فعثرت فيها على موعد

ائت غدا في الساعة العاشرة

تأبتطت أوراقها في غد

وقابلت مسؤولها الهاجرة

ألقــت لـه تـــــحيــة غضـة

وقــدمــت أوراقـــها الزاهــرة

وأردفــت أســأل يـا سيــدي

هـل عـنــدكم وظيــفة شـاغرة

خـريجـة الـتاريــخ مـذ فتــرة

وإنــني كــاتـــــبــة مــاهــرة

قال لها: مـاذاك، هــل جئتنـا

مبعوثة مــن جـــهة آمـــرة

قالت له: قـــرأت إعـلانكـم

يا سيدي في الصحف السائرة

فجئـــت أستـــفسر في شأنـه

أعـرض أوراقـي على الـدائـرة

رمقـها بطـرفه هامـــســـا:

كـاتبـــة جمـــــيلـة بـاهــرة!

فارتعشت أجـفانهــا الفاتـرة

وابتســـمت تجيبــه شـاكـرة

وباشرت أعـــمالهـا في غـــد

بـــكل جد.. دائما حـاضرة

ظلت إذا خاطـــبها مـــازحا

ردت برفق وانثـنت ســـادره

حتى دعـاهـا مـــــرة قـــائـــلا:

مـا لـــك كالـــغزالـة الـنافـــرة

هيـا انزعـي "شجيرة" بـيننـــا

وحـدثيني بـــالـــهوى سافـــرة

هل أنت إلا طفلة غـــضـة

من فتيات العصر يا ساحـرة

لا تحسبي همي أن ترصـــدي

واردة تأتيـــك أو صـــادرة

أو تـكتبي رســـالة هـــكذا

بـــل زهرة كـــوني لنا عـاطرة

كوني لنا صـديقة حـــلوة

دوما عـلى راحــتنا ساهرة

فمكتبي عش جـــميل هنــا

سيــارتي جـاهــزة عـــابـرة

كاتمــة الضوء فلا تخـــتشي

صــديقــتي من أعين زاجرة

وبيتكـم إن شئت نقـضي به

بعض سويعات الهنا السامرة

ونجعة الشاطئ نلـهـو بهـا

كنجعة البـدو أو الحـاضرة

قالت لـه: أرجوك يا سيـدي

لسـت على هذا الرجـا قادرة

أخمد معي نار الهوى سيدي

ولا تدعني هــكذا حائــرة

قد زورقا أنت له قــائــد

واترك سفيني تنبري سائــرة

فقيرة أنــا ومـــــطـــرودة

وحاجتي لــعطــفكم ظاهرة

لكن عندي حـــارس زاجـــر

مهما دعتني حاجتي القاهــرة

لا يعرف " البطرون" ما شأنــه

لا جيــب في جبتــه الســاترة

قـال: حديث مـــــبهــم تافــه

فأفصـــحي عما لــه ضـــــامرة

قال: أتدعونـــي لأن أرتمـــي

على جناح الغيــمـة العابرة؟

صاح بها لا تدخــلي الدائرة

من بعـدها وانصرفي صاغـرة

فنهـــــضت تلـــم أوراقــها

ترمقه بنـــــظـــرة ســاخــرة

قالت: أبعد المرة الـعاشرة

أمضي لآتي صفقة خاسرة؟

نجعة الشعر

هات اسكـبيها غضة ناضرة

سباحة في جـــدول الذاكـرة

يـا لسويعات الهـــنـا تختفـي

مثـل ظلال الـــغيمة العابرة

يمتص نخب الصحو من ظلها

غضـا لهـيب الساعة الهـاجرة

سامرت فيها الشعر مخضوضرا

في نجـــعة خـالــصة سـاحـــرة

هامت بجنح الغـيم في مـركـب

من صور الشعر استــوى طائرة

ذات جناحين تجــوب الفضــا

سبــاحــة فــي أفـقـــه ماخرة

قوس الغمام التف من حولهـا

داراتـه السـبـــع بهـــا دائرة

مفـردة الـدر بـعيـــن الـفضـا

تنسـاب مـثل النـجمة الزاهـــرة

لمـــا ارتخت مـــن تيـــهها فـــجأة

وقـــمت مـن شرفتـــها ناظـــرة

بشت أكاديـر الهنا وازدهت

وانتعـشت جـناتها النـاضـرة

وأعين الأفــق بكت فـرقتي

عند هبوطـي سـلـم الطـائرة

يا جنــة الشـــعر ويا منتـدى

للـعلــم والـفن أيـا زاخـــرة

فيك ورود النـــور فـواحــة

في كــل فـج تجـتنى حاضـرة

سامرت إبداعـي على نورها

حول خرير الأعـين الساهرة

مدينة أكاديرالمغرب1991

درب النضال

تمــدد درب الأمـــاني الأغــر

على جلهــات الــربى واسبطــر

عيون مــن الذكريــات العــذاب

وزحــف على صــهوات القـــدر

هـــو العيد غرســـة عــز دنــا

جنــاها لمن يســـتلــذ السهـــر

مشاعره الــزهر في خـاطـري

توهج بين غـــيـوم الفـكـــر

سكـرت بأفـراحـــه لحظـــة

أشيـم وميض نـــضـال خطـــر

عـمدت إلى شاشـة الذكـريات

أناجي علـيها شـريط الصـــور

فأسمـــع آيـــة رفـــض تـــلاه

هتاف المـــعـــاول فوق الحجـر

يقعقع بالطـعن حتى انبـــرت

تغـــرد بالسلـــــسبيل الحـــفر

وإن مـــن الصخر مـا يتفـجـــ

ـجر الماء منـــه ويرمي الشـــرر

وركض خيول الـفتوح علــى

شواطئ شنقـيط تـروي الخبـر

لـ"ديلول" يحدو جيــاد الهنـــا

على ربوة العز يــدعو المطـــر

ونادي "ابن رازكة" ســاهر في

رحاب المآذن وقــت السحــر

يحيط الصحارى بسور عظيـم

من الرفـض ظاهره من سقــر

يعيــد شبـــاة الـــغـــزاة إلى

نحور ينـــادي علــيها الخطـــر

تقـول لي الأرض في سكـــرتي

حـــذار الغرور ورســم الأثـر

فقاطـرة الدهــر لا تـنتهــي

ولم تك تلوي عـلى مــن عثـر

إذا ما تشاكس مــن أشربــوا

لباني وكل بـــدرسـي كفـــر

وقـــال: رفيــع العمـــاد أبي

كثير الرمـــاد عـــزيز النفـر

وجـال الغراب بأفـــق المـــنى

فأين الأســاة وأيـــن المفـــر؟

ألم تـــدر أن الضـعيف ذليـــل

ولو نال عطف جـميع البشر؟

حديث تجـرع منـــه الضـــمير

حميم السهـــاد وكأس الضـجر

سرى في الســواعد تيــاره

على نغمات نشـــيد الظفر

بمناسبة عيد الاستقلال 1989

القبة

هـذه القبـــة أضـحـت قفصـا

طـائرا بين عصـابات النســـور

هل أرى وجهك بالبشـر اكتسى

هل أرى طرفك بالعــود قـــرير

ومتى نجــلس في البهـــو معـــا

نحتسي الشـاي على تـلك الحصير

هي الأم

نفى ضجعة السلوان عنك سريعا

ضجيج همـــوم لا يزال مريعـــا

همومي زنابير تحـــوم بمضجعـــي

فتلسـع جفني إذ يروم هجـوعـا

وألتمس السلوان في غمرة الأسى

لأحســن في شأن العزاء صنيعـا

فيخنقني الدمع السخين بغصة

تجيش فتأبى للحديث ذيوعـا

طواك زمان هب بعدك هاربا

يسوق الليالي كالقطيع أريعـا

أثاثك فواح بذكـراك لم يــزل

لطلعتك الغـرا يحن ضريعــا

فسجادة تبكي التلاوة والدعـا

وتبكي سجودا فوقها وركوعـا

ومسبحة حباتها ذرفـت علـى

بساط المصلى حسرة ودموعـا

ومصحفك المحبوب ثاو بركنـه

يـردد آيات العزاء خشوعـــا

حصدت مع المستغفرين لربهم

بالآصال والأسحار ثم زروعا

وأبقيتني في بلقع تستفزني

طوارق شوق كالسهام وقوعا

فأفلست مذ فارقتني وتراكمت

همومي وما عاد الربيع ربيعا

كأن فطامـــي لم يكـــن وكـــأنـني

فطمت فجرعـــت الهمـوم نجيعـــا

ولو كان سعيي مثل سعيك في التقى

لآثرت في الـــركب اللحاق ســـريعا

ولـولا وصـايا عنـــك كنت وعيتهـــا

لأشفقت مـن ذكـــر الهموم جميعـــا

وما عرف الحســاد أني حــزينـــة

ولا كان حزني في الجموع أذيعـــا

ولم أتـــرنم بالقـــــوافي تـعلـــــة

ولا كان شعري في الرثاء بـديعـا

وكيف لهذا الشعر إطفاء حسرتي

فمـا هو إلا الزيت زاد ســطوعا

أقول لقلبي حين ضج به الأسى

وعــز عــزاء واستمــر صريعــا

فؤادي تمهل جئت آخــر عصبتي

فكن لي بحظ الآخــرين قنوعــا

ولكن ذكـراها تعـــود فتنبـــري

زوابع حـــزن لا تـــريد رجوعـا

هي الأم في أحضـانها العلـم والهنـا

ومن هديهـا تعطـي البنين شمـوعـا

سقى غيدق الريحان والروح روحها

وحلـت مقامــا في الجنـــان رفيعا.

1994

قمحية اللون

بينما كنت على وشــك انصـرافي

من رحاب الدرس قالت في تصاف

أنت يــا قمحية اللـون تــعــالي

حدثيني واصحـبيـــني لا تخـــافي

إنـني أشتـــم في هــذا اللحـــاف

عبقــا يـزكـــوا بأنســـام ائتلاف

قلت من تنـدوف أهـلا مـرحبـا

كـم تـــشرفت بكم أهل العفـاف

أنـا من شنقيــط لا مـن أرضكــم

غير أن الدوح من تلك الضـفـاف

قــد سكنا في العـرى مــن فتـــرة

وسكنـا فـــي خيـــام في الفيـــافي

مــزقتنـا يـــد أيـــام خلـــت

وشربنا الذل في كـأس اعتسـاف

أهو الغـــازي الـــذي أرهقنـــا

أم الجار الذي لـــيس يـصـــافي؟

مطرقات المعتدي الغازي عـلى

هامتي والجـار سندان اعتسـاف

****

نشيد الفتاة

فتاة القسم هبي للنضـــال

جهارا واسلكي سبل المعالي

وقودي ثورة شعواء ترسي

صروح العزم في هام الجبال

تعيد لنا بنـــاء قـــد تهاوى

ومالت شـــمسه نحو الزوال

فقد آن الأوان لأن تـنادي

حياة الجــد ربات الحجـال

ألا فادعي النساء بكل حقل

وقولي لامناص مـن النضـال

وهيا نبن مجـــدا مـن جديـد

وتــاريخـــا تخلـــده الليـــالي

وجردن العزائم نافضـــات

غبار الجهل عن دنيا الجمال

ووحدن الجهــود إذن جميعا

ولا تحســبنه سهــل المنـــال

بلى يحتاج جدا واجتهـــادا

وبذلا للـــنفوس وكل غال

ولا تـأخـذن معيـارا صحيحـا

نســاء في اليـمين أو الشمـال

وســددن العـيـون إلى تـراث

مليء بالــجواهــر والــلآلي

به عرف النسـاء مجاهـدات

لجيش الكفر عنوان الضلال

بـه نجد ابنـة الصــديق تـروي

أصول الدوح من نبع الكـمال

ولا تغــرقــن في بحـر عــميق

من التقــليد يفضــي لاعتــزال

لعمــري ما التحرر في التخلــي

عــن الدين القويم والانحــلال

ولكـن في احتـرام والـتـــزام

لمضـمون الشـــريعة وامتثـال

وسعي للتــقــدم لايــبــارى

ونبذ للــخــضـوع والاتكـال

فمهما سرت في تحقيق حلم

يساعدك النجاح على التوالي

وتكتسب البلاد بذاك فخرا

وتنعم بالحضـــارة في اكتمـال

وسوف يرى لواء النصر حتما

على أعناقنا ضـــافي الظـــلال

نجوى الأصيل

نغم تململ بالأصيل ولم تزل

أصداؤه لحنا تموج واضمحل

وصدى دعاء ضارع متوسل

في قمقم الإهمال يثلج بالملل

جزر كأوكار السعالي فيئها

يحميه عفريت كنحس قد أظل

يرمــي الهدايا ضــاحكا فـكأنهـــا

قطع من العلــق المــركز كالــوحــل

لا در يـرجى في وهـــاد أتـــرعـــت

من نقع طير الشــؤم تهوي كالطلــل

تنفــي تراتيـــل الهزيـــع بفيحـــهـــا

وتذيب ملح الرفض في برك الصحل

ما في الخطابات الطويلة سلـــوة

خسئت خطابات الحديث المرتجل

جـرع مهدئة تزيـد عنـــاءنـــا

مهما بقـينا وحدنا حول الطلـــل

يتهـجد الســـادات في محرابهـــا

ويسبحون بحمد عفريت الدجـــل

نسجوا خيوط الوهم درعا داكنـــا

ضربوا غشاوته على وهـــج المقـــل

لتظل من خلـــف الستـــائر أمـــة

في الكهف لايدرون ماذا قد حصل

يلـــهون في أودية درجـــوا بهـــا

واستعذبوا منها أفـــانين الزجـــل

سجادتي دفنت بواد قد قضـــوا

فيه انتجاعا مضربين عن العمـــل

وقلادتي ذهبت شـراذم في يـدي

عفريتهم قطـــعا تبـاع وتستغـــل

دارت عقـارب ساعتي نحو الورا

وتملمـلت في معصم ذا وأشـــل

وطفقت أبحر خلف أشــرعة المنى

في غمرة الغرق السحيق أو الأجل

لولا الهوى ما تهت في لجج الردى

حب العروبة في فؤادي لم يـــــزل

أنا لست أملك دفع حب جامح

ألغامه زرعـــت بقـــــلبي في الأزل

مارس 1989

الكوسي

عرفت الفتى الكوسي في الحي هائما

له مظهر يغني عن الفعـل والقـــول

وفي زيـــه يغشى المحافـــل كلـــها

وأجمل من ليلى ونعمى ومن جمـــل

يـــروح ويغدو داهنـــا متكحـــلا

أمام المرايا بالنهـــــار وبـــالليـــــل

له شغف بالشـاي في كــل منـــزل

يزاول لعب النرد في الخصب والمحل

يدخن في الأنداء مهمـــا حلالـــــه

ويظهر زهوا في تعـال على الكـــــل

يطيل جلوســـا كالمفكـــــر تـــارة

وليس بتفـكير يقـــود إلى فعـــــل

ويصطاد من "حمر" الأكاذيب دائما

حكايات زور لا تقــوم على أصــل

تليق له محبوبـــة تشبـــه الـــدمى

وهو لها نعم المرافــق في الشكـــل.

1987

عاصمتي

ومعلمــة للخـلد وهاجــة السـنـا

تبلج فيـــها العــز وحيــا مسنما

تحــوم بـــذهـني في فـضـــاهـــا

من الذكريات الــغر ترسم أنجمــا

دهتها النحوس الغبر فجر شبابها

بشيخوخة عجما تعربد في الحمى

رياحينـهـا تمـــتـــص عـرف أريجهـا

غمام نوى في الأفق أطلس أسحـما

كريمة قطري ما دهـــاك عـــزيـزتي

متى عرف الوجه الجمبل التجهمـا

أرى جسمك المحبوب محبنطئا على

شواطئ بحر الخلـد يستنجد السما

شجي برضراض الشــواطئ نــدبه

ترجعـه الأمواج لحـنـا مجـمـجمـا

تدارك شبابي يا عصـــام وداونـي

فمعتصم بالأمـس لـبى وأحـــرمـا

أعاصمـــتي عــودي إلـي جميلـة

ليمتاح من عينيك شعري ويلـهما

ألم يأن أن يبـدو مـحيـاك مشرقـا

على الجلهات الخضر حلما منمنما

فيغتسل الإلهام من درن الـمـسـا

بكوثر فجـــر مـــن رباك تسنمـــا.

1991

عد يا عيد وحدتنا !

أرى نــورا تبلــج في سمائــي
فأشرق واستوي فجرا مبينــا

أم الزمن الضنين يعيد ذكرى

ستمرع في النفوس هوى دفينا

أيا ذكرى حصاد حقول زرع

سهـرنا في رعايـتهــا قرونــا

وذدنا عـن رباه كـل غـــاز

يحاول جاهدا أن نستكينـا

لأنت أعز ذكرى نفـتديهـا

ونهديها القوافي واللحونـــا

وننتشق العبير على ربـــاها

بأنسام الـتحرر مـنتشـينـا

نريدك دائــما ذكـرى نضــال

تدفق سيلــها فـغــدا مـعينا

لــه ورادنـا يـأتـــون دومـــا

فمــنهـم صــادرون وواردونــا

ولا نبغيــك ذكـــرى فـرغوها

فصــارت نزهـة للــمترفينـــا

ولا نبغيــك تمـــثالا غــريبــا

ولا فــرســـا ندلــلــه هجينــا

ولا نرضى بأن تــحيــا بــهــذا

وتبقى رهن فــترته ســجيـــن

فعد ياعيد وحدتــنا المفــدى

أيا ذكرى الــتحرر علـتلينـــا

بأفـــراح التـحرر والـتآخـــي

وتـعمـير الـبـــلاد فـذكريـنـــا

عليك توحـد الأجـيال إذ ما

تفرقنـا مشـــاربـــنا عـزينـــا

ستبقـــى رمز وحدتنا وتبقـــى

لـــنا ذكـراك مـاثـلة يـقينـــا

وأنت أعز مـن هـذا وأعـلى

فذا التخـليد كـنت به قمينا.

كيف يهدى لك التحرر ؟

إن للعنكبـوت قصـرا مـنيفـا

بـدماغي تـهتـز منه متـــوني

مـا تــوالى العقود إلا تــوالت

ضـربـاتي ولم أجـد من معـين

كلـما تقـت للتـحـرر يومـــا

أغلق الباب عـند ذلك دوني

حطـموا أكــؤس الأماني سراعــا

فوق صخر القنوط نصب العيون

قلبوا لي حقــائق الــكـــون آلا

عــلموني الخضـوع، ما علمـــوني

عنـــدها صاحت العجوز وقالت

أو تـــــرضين هـــكذا أن تكوني

كيف يهدى لك التحرر عفوا

لا تغرنك كاذبات الظـــــنون.

1985

ربيع الوحدة

معاول في الصخور لـها دوي

ولحن في المعازف وحـــدوي

تهلل من سنا التاريـخ فـــجر

خمـــاسي الزوايـــا أصـــبحي

يطوف على الربى بخيوط نور

تنامى حولها الفجر النـــدي

وأبرق من عيون الفخر ومض

على جسـر النهوض معـاربي

تهش لـه المآذن والـنـوادي

ويعزف لحنه الطفـل الـذكـي

عتـاق الخيل ترقص سـاكرات

يعانقهـا النخيـل الأريـحي

ورود الود تمرعــها الأيــادي

معا، والبقل يحرســه الـكمي

أيا يمن العــروبة يا بـــنانـــا

لكف مـده الوطـــن الأبـــي

أصابع كالسهام إذا اسبطرت

تجافى الغيم وانبجس الأتـــي

فتنزع أكؤس خمسا لـــخمس

ومنها ينبري الساقي الـــحفي

وما نخشاه أن نـدعى لحـفـــل

سيـــؤدي في نهايتـــه الصـبي

الطبعة الأولى: ماي 2018

ISBN : 978-2-37711-058-2